العلماء التلمسانيون ودورهم في بعث الحركة الأدبية جنوب الصحراء

الدكتور أحمد جعفري
الجامعة الإفريقية أدرار الجزائر

لقد كان للعلماء التلمسانيين حضورهم القوي والمتميز في كافة أرجاء أقاليم الصحراء الكبرى دخلوها داعين وفاتحين أحيانا ،ومرتحلين عابرين أحيانا أخرى وبين المسارين معا كان الاحتكاك وكان معه التأثر والتأثير في شتى المجالات وبخاصة المجال الأدبي محور حديثنا في هذا اللقاء .إذ أنه وعلى امتداد فترات المد الإسلامي تتابعت رحلات العلماء والشخصيات البارزة في تلمسان إلى أعماق الصحراء حيث دخل في سنة(815هـ) القاضي أبو يحي بن محمد ، وفي سنة (845هـ)جاء العلامة سيدي يحي بن يدير وعين قاضيا على توات ، وفي سنة (862هـ) جاء العالم سيدي عبد الله بن أبي بكر العصموني وتربع على عرش الإفتاء والتدريس .وبعد ثماني سنوات من هذا التاريخ لحق به الإمام المغيلي في أول قدومه للصحراء ، وكان ذلك تحديدا سنة (870هـ).

ومع هؤلاء جميعا وغيرهم ازدهرت الساحة الأدبية في معظم الأقاليم الصحراوية، وهو ما انعكس واقعا على تاريخ الحركة الأدبية لهذه الأقاليم خصوصا حيث سجلت لنا الذاكرة التاريخية حضورا أدبيا مميزا لهؤلاء الأعلام ومن عاصرهم من علماء تلك الأقاليم . وكانت الأقاليم التواتية في كل هذا محور الربط ونقطة التواصل بين حاضرة تلمسان التاريخية وبين بقية الحواضر الثقافية في الجنوب .

عُرفت الأقاليم الصحراوية على مر التاريخ بأنها أرض أمان واطمئنان وهو ما جعلها منطقة عبور واستقرار لكثير من الشخصيات العلمية الوافدة من كافة الأقطار العربية والإسلامية باتجاه هذه المناطق ونذكر من ذلك تمثيلا لا حصرا الشريف مولاي سليمان بن علي في القرن السادس الهجري والعالم محمد بن عبد الكريم المغيلي وأبو بكر العصموني في القرن التاسع الهجري والعالم العبدلاوي بن الطيب المغربي في القرن العاشر الهجري والعالم سعيد قدورة الجزائري في القرن الحادي عشر الهجري وغيرهم .(1) وذكر محمد بن عبد الكريم(2) أنه في سنة 890 هـ ورد ولد الباي من طرابلس وطاف بتوات ومعه عشرة من العلماء ، كل واحد منهم يحفظ خليل وبعض أصول المذهب ومتضلع في كتب بن الحاجب وعلم المعاني والبيان ،

وتبعهم علماء توات في رحلتهم داخل الإقليم. وهذا على الرغم من كثرة جدب هذا الإقليم حينها ، وقلة رزقه .إذ كان معروفا بأنه " ذات سباخ ، كثيرة الرمال والرياح ، لا تحيط بها جبال ولا أشجار ." (3). وهو إلى هذا وصف بأنه "أضعف بلاد المغرب قاطبة . غالب أهله ضعفاء مستضعفون ولقلة ضعف أهله ، وهضم قوة النفوس ، كثر فيه الصالحون والزهاد وأرباب القلوب"(4). وهذه كلها عوامل شكلت الشروط الأساسية والمواتية لرحلات العلماء ، والزهاد ، واستقرارهم أو مرورهم بالإقليم (5).ذلك أن هذه الأقاليم– كما يرى معظم المؤرخين – كانت قبل الإسلام أعجمية لا عرب فيه .

لقد شكل إقليم توات جنوب الجزائر وعلى مر التاريخ دوراً تاريخياً هاماً في مد جسور التواصل بين مدن الشمال والجنوب ، أهله لذلك موقعه الإستراتيجي الهام الذي يتوسط فيه كبريات العواصم التجارية والعلمية آنذاك ، بالإضافة إلى نشاطه الاقتصادي الداخلي المميز " حتى أن كثيراً من الحجاج قديماً لما غلا صرف الذهب في تفلا لت أخّروا الصرف إلى توات لأن الذهب بها أرخص ، وكذلك سعر القوت من الزرع والتمر ، وهذه البلدة هي مجمع القوافل" (6).ومع هذه الرحلات الخارجية والداخلية للتجار والعلماء تعبد مسار الدرس اللغوي والأدبي معا على مر العصور، ورسم لنفسه طرقاً واتجاهات مختلفة ومتعددة.

وإذا حاولنا أن نتتبع هذا المسار في مسافاته المختلفة من وإلى الإقليم ، فإننا لا نجده يخرج عن طريق القوافل التجارية التي كانت تفد إلى الإقليم وترحل عنه باستمرار ، وهذا بالنظر إلى طبيعة الصحراء وظروف التنقل فيها ، وهو ما تحدث عنه كثير من العلماء والرحالة الذين زاروا الإقليم(7). فكانت القافلة التجارية تأتي إلى الإقليم وفيها الكثير من التجار والعبيد وبين جنباتهم كان يتسلل الكثير من العلماء الداعين إلى الله أو الفارين من بطش العباد ، وكانت هذه القوافل التجارية لا تكاد تخرج في مسارها عن محاور أساسية(8) هي:

1. طريق الشمال الجزائري وهو الذي يربط الإقليم بمدن الشمال كتلمسان ووهران والجزائر وبجاية.
2. طريق السودان الغربي الذي يربط الإقليم بمنطقة مالي وموريتانيا.
3. طريق سجلماسة وهو الذي يربط الإقليم بمنطقة المغرب الأقصى.
4. طريق أغدامس وهو الذي يربط الإقليم من جهة الشرق بليبيا ومصر.

5. طريق قبائل الطوارق والبربر الضاربة جنوب توات.

وما يعنينا في هذا المقام تحديدا هو خط الرحلة الأول الذي يربط مدينة تلمسان ببقية حواضر الصحراء الكبرى على امتداد أقاليم توات جنوب الجزائر مرورا بدول مالي والنيجر وموريتانيا وصولا إلى نيجيريا وغانا وغيرهما من دول الصحراء .

ولعل أقدم ما وقفنا عليه في هذا الباب ضمن ما تواتر من روايات شفهية أو كتابات تاريخية يعود بنا إلى سنة (862هـ) تحديدا حين حل العالم سيدي عبد الله بن أبي بكر العصنوني التلمساني بأرض توات قادما من تلمسان ، حيث سكن في قصر بني تامر(9) أولا ثم انتقل بعد ذلك إلى تمنطيط (10) .

والشيخ العصموني [11]في نسبه هو الشيخ سيدي عبد الله بن أبي بكر بن عثمان بن أبي بكر بن موسى بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن العباس بن محمد بن الحسن بن سيدي علي بن سيدي محمد بن سيدي لحسين بن سيدي محمد بن صالح ، بن سعيد ، بن أحمد بن عصنون ....وينتهي إلى جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي (رضي الله عنه) وفاطمة الزهراء (رضي الله عنها) بنت رسول الله صلّى الله عليه وسلم . عرف ب(العصنوني) نسبة إلى جده ، ودخل إلى توات قادما من تلمسان رفقة أخيه سيدي محمد سنة (862هـ) وقيل (863هـ).

كان الشيخ سيدي عبد الله العصموني إماما وفقيها بارعا تولى قضاء الجماعة بتوات سنة (877هـ). جمعته بالإمام المغيلي عديد القضايا والمسائل الفقهية من أشهرها نازلة يهود توات .وفيها راسل كل منهما علماء الجزائر والمغرب وتونس وغيرها .من آثاره مجموعة من المؤلفات المخطوطة منها مخطوط في شرح بعض آي القرآن .

وبعد رحلة الشيخ سيدي عبد الله العصموني من تلمسان إلى تخوم الصحراء بثماني سنوات تقريبا لحق به الإمام المغيلي([12]) في أول قدومه للإقليم التواتي ، وكان ذلك تحديدا سنة (870هـ) واتصل بالشيخ سيدي يحي بن يدير بتمنطيط وأخذ عنه ثم رحل عن الإقليم بعد ذلك لمدة تزيد عن العشر سنوات وتوغل في أدغال إفريقيا حاملا رايته الإصلاحية والجهادية.ليعود بعد ذلك إلى الإقليم مجددا سنة (882هـ) . وتوفي بالإقليم سنة (909هـ).

وبعد الإمامين لحق بهما الشيخ سيدي سالم بن سيدي محمد العصموني ابن أخ الشيخ سيدي عبد الله المذكور ،والذي ولد سنة (882هـ) وتولى قضاء الجماعة بتوات هو الآخر سنة(914هـ)وتوفي سنة (968هـ) ([13]).

ومع هؤلاء الأعلام الثلاثة خصوصا الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي ، والشيخين سيدي عبد الله وسيدي سالم العصموني نشطت الساحة الأدبية بالإقليم وعكست لنا صور الحياة وما خلفته نازلة اليهود بها .وحول هذه النازلة تحديدا كان الأدب ترجمان الأفكار والآراء وكانت الرسائل (14) والوصايا والقصائد المختلفة في وصف اليهود وكشف طباعهم. وغير هذا الموضوع كانت للإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي تحديدا وقفات أدبية رائعة نذكر من ذلك تمثيلا ميميته([15]) المشهورة التي جاءت تحمل بين طياتها أربع أفكار أساسية من مجموع سبعة وعشرين بيتا كما في أرجح الروايات . حيث خاطب في الفقرة الأولى نفسه مهنئا إياه بهذا الحضور الكريم أمام الروضة الغراء والقبة الخضراء ، وفي حضرة المختار عليه أفضل الصلاة والسلام وهو بالقرب من منبره وحجرته وصاحبيه أبي بكر الصديق وعمر الفاروق ومن حولهم جميعا الصحابة رضوان الله عليهم وهو الأمر الذي أنساه كل همومه وفتح شهيته للدعاء والتوسل حيث قال في مستهلها.

بُشْرَاكَ يَا قَلْبِ هَذَا سَيِّدُ الأُمَمِ # وَهَذِهِ حَضْرَةُ الْمُخْتَارِ فِي الْحَرَمِ

وَهَذِهِ الرَّوْضَةُ الْغَرَّاءُ ظَاهِرَةٌ # وَهَذِهِ الْقُبَّةُ الْخَضْرَاءُ كَالْحَرَمِ

وَمِنْبَرُ الْمُصْطَفَى الْهَادِي وَحُجْرَتُهُ # وَصَحْبُهُ وَبَقِيعٌ دَائِرٌ بِهِمِ

فَطِبْ وَغِبْ عَنْ هُمُومٍ كُنتَ تَحْمِلُهَا # وَسَلْ تَنَلْ كُلَ مَا تَرْجُوهُ مَنْ كَرَمِ

و في الفقرة الثانية راح يخاطب المصطفى (صلّى الله عليه وسلم) طالبا ضيافته وأمنه، ومذكرا نفسه بفضائل المصطفى (صلّى الله عليه وسلم) على عامة الخلق أملا في نيل شفاعته وجبر كسره. ثم توجه بعد ذلك كما هو شأن زائر الروضة الشريفة عادة بإسداء التحية لصاحبيه أبى بكر وعمر رضي الله عنهما ومذكرا بأهمية زيارة هذه البقعة لطاهرة .

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي # فالعبد ضيف وضيف الله لم يضم

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي # يا من لقاصده أمن من النقم

يا سيدي يا رسول الله خذ بيدي # فبحر جودك مورد لكل ظم

يا سيد الرسل يا من ضيف ساحته # يبيت في الأمن في خير وفي نعم

يا أكرم الخلق من حاف ومنتعل # يا أفضل الناس في ذات وفي شيم

يا أشرف الأنبياء يا من شفاعته # عمت على الخلق في الوجدان والكرم

يا صفوة الله يا مولى مكارمه # عمت على الخلق من طفل إلى هرم

يا صاحب الحوض يا بحر فضائله # عمت على الخلق من عرب ومن عجم

إني فقير إلى عفو ومرحمة # وأنت أدرى بما في القلب من ألم

وقد أتيتك أرجو منك مكرمة # وأنت أهل الرضى و الجود والكرم

والحال يغني عن الشكوى إليك وقد # عرفت حالي وإن لم أحكه بفم

فاشفع لعبدك واجبر كسره فلقد # أودى به الكسر مما نال من جرم

يا أحمد يا أبا بكر ويا عمر # نزيلكم في أمان غير منهزم

فقد سعيت إلى أبواب حجرتكم # سعيا على الرأس لا سعيا على القدم

أتى من أم القرى يرجوا القرى كرما # من سادة هم بحار لجود والكرم

فإن قبلتم فإني مفلح بكم # في زورة واعتراف وافر القسم

يا من أجلّ ملوك الأرض قاطبة # في باب أفضلهم من أصغر الخدم

فهل عسى نظرة منكم لزائركم # يغني بها عن جميع الخلق كلهم

محمد وضجيعاه الذين بهم # طبنا وغبنا عن الخسران والندم

في الأخير ختم نصه بالتضرع لله سبحانه وتعالى بأن يمن عليه بالعفو والرضا بجاه المصطفى وآله وأصحابه ما سار ركب لتلك الربوع الطاهرة على الإطلاق

يا رب يا رب يا مولاي عبدك في # باب الرجى يرتجي أمنا من النقم

فجد عليه بما يرجوه من كرم # لقد توسل في الدنيا بحقهم

ثم الصلاة وتسليم الإله على # هذا النبي رفيع القدر والشيم

محمد المصطفى والآل ثم على # أصحابه ما سرى ركب بربعهم

والميمية وإن حاول الأستاذ عبد السلام نسبتها إلى القاضي عياض(16) وقال إن نسخة مخطوط القصيدة موجود بخزانة ابن يوسف بمراكش تحت رقم 359 وأنها تتكون من خمسة وعشرين بيتا ، إلا أننا نعتقد أن هذه النسبة غير صحيحة وهذا لعدة اعتبارات وهي :

أولا: إن كل المصادر التي رجع إليها المؤلف في جمع ديوان القاضي عياض لم تنسب القصيدة إليه ، زمن أشهر هذه المصادر نذكر :

*/ ما جمعه ابن القاضي عياض أبو عبد الله نفسه في كتابه التعريفات .

*/ كتاب قلائد العقيان لابن خاقان.

*/ الإمام المقري .

*/ ثم أخيرا مجموع الكتب التي أثرت عن المقري وجمعت بعض أشعاره منها :كتاب الشفا ،كتاب ترتيب المدارك ،كتاب الإلماع وغيرها .وكل هذه المصادر على أهميتها وأصالتها لم تنسب الميمية المذكورة للقاضي عياض ، وإنما وجدها الأستاذ بوشقور كما قال ضمن مجموع مخطوط بخزانة ابن يوسف بمراكش تحت رقم 359 وهذا ليس كافيا لاثبات نسبتها من عدمه .

ثانيا : من المعلوم أن مجمل المصادر التي ترجمت للقاضي عياض تذكر أن القاضي لم يحج ولم يزر الروضة الشريفة ، بل إنه لم يرحل إلى المشرق جملة وأُرجِع ذلك إلى الدعوة الموحدية التي منعته .

بينما كل الدلالات السياقية تؤكد أن صاحب الميمية وقف على باب الروضة الشريفة من ذلك قوله :

بُشْرَاكَ يَا قَلْبُ هَذَا سَيِّدُ الأُمَمِ # وَهَذِهِ حَضْرَةُ الْمُخْتَارِ فِي الْحَرَمِ

وَهَذِهِ الرَّوْضَةُ الْغَرَّاءُ ظَاهِرَةٌ # وَهَذِهِ الْقُبَّةُ الْخَضْرَاءُ كَالْحَرَمِ

وَمِنْبَرُ الْمُصْطَفَى الْهَادِي وَحُجْرَتُهُ # وَصَحْبُهُ وَبَقِيعٌ دَائِرٌ بِهِمِ

فَطِبْ وَغِبْ عَنْ هُمُومٍ كُنتَ تَحْمِلُهَا # وَسَلْ تَنَلْ كُلَ مَا تَرْجُوهُ مَنْ كَرَمِ

و هذا ما جعل الأستاذ بوشاقور يعنون هذه الفقرة الأولى من القصيدة ب" فرحة الشاعر بإشرافه على الأماكن المقدسة " وهو ما جاء مناقضا لما ذهب إليه في الصفحة (225)حين ذكر بأن القاضي عياض لم يحج .

ثالثا : إن كل المصادر التي ترجمت للمغيلي نسبت الميمية المذكورة إليه ، بل إن صاحب كتاب البشرى شرح المرقاة الكبرى عبد القادر الكسنمي ([17])يروي في ذلك تفاصيل قصة وقعت له مع حراس الروضة النبوية حينما كان يلقي القصيدة ارتجالا . زيادة على أن معظم خزائن الإقليم وخزائن السودان الغربي([18]) تحوي ضمن مجاميعها نسخا من هذه القصيدة وهي منسوبة للشيخ المغيلي.

رابعا : نسخة المخطوط المجموع الموجودة بخزانة ابن يوسف بمراكش تحوي على ثلاثة وعشرين بيتا فقط كما في الملحق الذي وضعه الأستاذ بوشاقور ، بينما كل النسخ المطلع عليها وهي أكثر من سبعة تصل بالقصيدة إلى سبعة وعشرين وتسعة وعشرين بيتا .

خامسا : في الميمية المقصودة معارضة صريحة وواضحة لميمية البصيري شكلا ومضمونا (الموضوع الواحد،البحر الواحد ،الروي الواحد) مما يدل أن صاحبها قد تأثر كثيرا بميمية البصيري المعروفة بالبردة .ومعلوم أن البصيري قد توفي في القرن السابع (624هـ) أي بعد وفاة القاضي بنحو قرن تقريبا (544هـ) ،وهو ما يجعل فرضية التأثر به مستحيلة بينما الإمام المغيلي جاء بعد البصيري وعاش في القرن العاشر (909هـ) وهو ما يجعل فرضية التأثر بين الرجلين ممكنة إلى أبعد حد .

وبهذه القرائن جميعها نعتقد جازمين أن قصيدة الميمية هي من نظم الإمام المغيلي وليس القاضي عياض .

وما نسجله هنا وبكل أسف أن بعض الباحثين حديثا بدأوا يكتبون دراسات عن هذه القصيدة تحديدا ويسيرون في نسبتها إلى القاضي عياض على خطى الأستاذ بوشاقور .

وما يمكن أن نسجله أخيرا هنا هو أنه قد ثبت عند كثير من الدارسين أن للقاضي عياض قصيدة مشابهة لميمية المغيلي مطلعها .

بشراك بشراك فقد لاحت قبابهم*** فانزل فقد نلت ما تهوى وتختار

هذا المحصب، هذا الخيف خيف منى***هذي منازلهم هذي هي الدار

ومما نذكره في هذا الباب أيضا للإمام المغيلي أيضا قوله في رسالته([19]) التي بعثها للحاج محمد الأسقيا

إذا قرب السلطان أشرار قومه # وأعرض عن أخيارهم فهو طالح

وإن قرب السلطان أخيار قومه # و أعرض عن أشرارهم فهو صالح

وكل امرئ ينبئك عنه قرينه # وذلك أمر في البرية واضح

فهو قد اخذ معنى هذه الأبيات وبخاصة الأخير منها من معنى بيت قول الشاعر :

عن المرء لا تسل وسل عن قرينه # فكل قرين بالمقارن يقتدي([20])

وله أيضا في باب النصح والإرشاد هذه الميمية ([21]) :

ولا تقهقه أبدا فإنما # يقهقه الأعمى ويزداد عمى

وكن على الصمت حريصا دائما # فقلما يسلم من تكلما

وإن يكن لا بدّ فاختر مُحكما # واخفض من الصوت لئلا تندما

كما ضمن رسالته ((فيما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار)) أرجوزة([22]) وقف فيها على أوضاع أنصار اليهود في منطقة توات في موقفهم من قضاياهم وعلاقتهم باليهود . حيث بدأها بقوله :

برئت للرب الودود # من شر أنصار اليهود

وله أيضا في باب الشعر على الطويل مناظرته([23]) الشهيرة مع الشيخ عبد الرحمان السيوطي حول علم المنطق :

سمعت بأمر ما سمعت بمثله # وكل حديث حكمه حكم أصله

أيمكن للمرء في العلم حجة # وينهى عن الفرقان في بعض قوله

هل المنطق المعني إلا عبارة # عن الحق أو تحقيقه حين جهله

معانيه في كل الكلام فهل ترى # دليلا صحيحا لا يرد لشكله

أرني هداك الله منه قضية # على غير هذا تنفها عن محله

ودع عنك ما أبدى كفور وذمه # رجال وإن أثبت صحة نقله

خذ الحق حتى من كفور ولا تقم # دليلا على شخص بمذهب مثله

عرفناهم بالحق لا العكس فاستبن # به لا بهم إذ هم هداة لأجله

لئن صح عنهم ما ذكرت فكم هم # وكم عالم بالشرع باح بفضله

وغير الشيخ سيدي محمد المغيلي فقد برز الشيخ سيدي سالم بن سيدي محمد العصموني(968هـ) التلمساني بقصيدته (24) الشعرية في التفكر في أحوال الموت والقبر جاء فيها :

الحمد لله الحكيم القادر # العدل بالموت الفظيع القاهر

مدبر الأمر بوفق علمه # ولا معقب له في حكمه

كتب في الذكر المبين بالفنا # على الورى السعيد والذي عنا

وهم كما قدره قسمان # إما لناره أو الجنان

و الشيخ سيدي سالم(968هـ) العصموني .في نسبه (25)هو بن أبي بكر بن عثمان بن أبي بكر بن موسى بن عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن العباس بن محمد بن الحسن بن سيدي علي بن سيدي محمد .... وينتهي نسبه إلى الشيخ سيدي جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي (كرم الله وجهه) وابن فاطمة الزهراء (رضي الله عنها). .ولد سيدي سالم سنة(882هـ) .تولى قضاء الجماعة سنة (914هـ) وكان من حكمته في قضائه أن يأمر المتخاصمَيْن أن يقفا معا على رأسه وأن يتلوَا قوله تعالى " إنّكَ مَيّتٌ وإنّهُم مَيّتُونَ ثُمّ إنّكُم يومَ القيّامَة عنْدَ رَبّكُم تَخْتَصمُون ".كان لا يخاف في الله لومة لائم وناله من ذلك ضرر عظيم بأن كمن له بعض المجرمين وأوقعوه ضربا مبرحا على ما يروى .توفي بعد صلاة عصر يوم الثلاثاء السادس عشر من ذي القعدة سنة(968هـ).

الخاتمة :

أخيرا يمكن القول :إنه كان لعلماء تلمسان دورهم البارز والريادي في بعث الحركة الأدبية جنوب الصحراء الكبرى بما خلفوه من حراك علمي مميز على مر العصور ،وفي ذلك أثر عنهم وعن علماء هته الديار تحديدا العديد من الآثار الأدبية والعلمية المخطوطة .

كل هذا وغيره كثير جعل من هذه الأقاليم جميعها ومنذ قرون غابرة نقطة التقاء وتقاطع بين مجمل حواضر الشمال ممثلة في حاضرة تلمسان تحديدا وبين حواضر الجنوب ممثلة في حواضر الصحراء الكبرى عامة ،وبهذا كله كانت هذه الحواضر ولا تزال ساحة حراك ثقافي وعلمي فعال ، أنتج على مر القرون مئات الأعلام وآلاف المخطوطات.

كما أننا نسجل هنا أيضا عدم قدرتنا على تحديد جدول زمني محدد لهذه الرحلات العلمية بين تلمسان وبقيت الحواضر ، وهو ما لم يسعفنا في تحديد بداية أولية لهذا الحراك الأدبي بهذه الديار ، إذ أنه ورغم الدخول المبكر للعنصر العربي للمنطقة كما تشير الروايات ابتداء من القرن الخامس الهجري إلا أن أقدم وثيقة بين أيدينا تؤرخ لهذه المرحلة تعود إلى القرن

التاسع الهجري مما يفتح باب التساؤل طويلا أمام البداية الحقيقية لهذه العلاقة بين الحاضرتين وأهم أعلامها .

كما أننا نسجل هنا أيضا أنه وابتداء من القرن التاسع الهجري(9هـ) وما مثلنا به من نتاج بعض علماء تلمسان كانت وتيرة الحركة الأدبية تزداد كما وكيفا حتى بلغت أوجها خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين (13/12هـ) بما أنتجته من مئات الشخصيات الأدبية وآلاف الآثار والمدونات المخطوطة. فكانت بذلك هذه الفترة الأخيرة تحديدا من أخصب المراحل وأغناها عبر مسيرة الأدب بهذه الأقاليم الصحراوية تحديدا.

ولقد شكل الباعث الديني في كل هذا أحد أهم وأبرز بواعث العمل الأدبي لدى أدباء الصحراء إذ أنهم وفي ظلال الدعوة إلى الله والمحبة فيه دعوا وتوسلوا ، ومدحوا ورثوا ، وعاتبوا واعتذروا وفي ظلال هذه الدعوة أيضا نصحوا ووجهوا وأوصوا وخاطبوا .فكان بذلك أدبهم مرآة صادقة لواقع الإقليم في خصوصيتها الدينية .وكان القرآن الكريم بفصاحته الراقية وتعاليمه السمحة في ذلك معينا عذبا ، وموردا أساسيا لكل أدباء الإقليم ،نسجوا على معانيه واستلهموا من قاموسه ألفاظا وعبارات ذات أبعاد روحية وإسلامية ، وهو ما ساعدهم على تطوير معجمهم الأدبي وإثراء تجربتهم الإبداعية.

الهوامش

[1] / محاضرة الأستاذ مبروك مقدم حول تاريخ الإقليم .ص65 – 66. (م.ج.أ.د.ت. أدرار) .

2 / مخطوطه درة الأقلام، ص08 وما بعدها

3/ مخطوط نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ، ص12 . مولاي أحمد الإدريسي الطاهري.

4/ مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام . محمد بن عبد الكريم البكري . ص08.

5/ ينظر مخطوط درة الأقلام .ص 6 وما بعدها .

6/ الرحلة العياشية . أبو سالم العياشي . الجزء الأول . ص 21.

7/ ينظر رحلة بن بطوطة ، ص 699 . ورحلة العائلة الرقانية إلى الإقليم ، ص02 وما بعدها . مخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار.

8/ إقليم توات خلال القرنين 18 و 19 م ، فرج محمود فرج ، ص70.وينظر أيضا:مساهمة قوافل الصحراء والحضارة الإسلامية في السودان الأوسط. أ.الماحي عبد الرحمان عمر . مجلة طريق القوافل ص65. المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ 2001. وينظر خريطة طرق القوافل من وإلى الإقليم في الملحق.

9 من قرى توات حاليا تبعد عن عاصمة الإقليم بنحو 02 كلومتر .وكانت حاضرة علمية مشهورة .

10من قرى توات حاليا تبعد عن عاصمة الإقليم بنحو 10 كلومتر .وكانت عاصمة الإقليم قديما .

11 ينظر تقييد مخطوط حول نسب العصنوني (خزانة باعبد الله)، والمعيار المعرب أحمد بن يحي الونشريسي ج/2 ص219 وما بعدها /دار الغرب الإسلامي .المملكة المغربية .)

12 ينظر : مخطوط تقييد حول دخول العلماء إلى إقليم توات .خزانة بن الوليد أدرار.و مخطوط تقييد حول نسب الشيخ المغيلي في خزانة أحفاده بالإقليم .و مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام ص 19.سيدي محمد بن عبد الكريم .خزانة كوسام.و مخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية .ص147. الحاج محمد بلعالم .ومخطوط الدرة الفاخرة في ذكر العلماء التواتية ص 13، وأسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي .تحقيق الأستاذ عبد القادر زبادية ، الشركة الجزائرية للنشر والتوزيع. الجزائر سنة 1974. وأعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة .د يحي بوعزيز .ج2/ص 143وما بعدها .ط1/ 1995م دار الغرب الإسلامي . ،والإمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية .ص92.مبروك مقدم .ط1 1422 هـ2002م.مؤسسة الجزائر كتاب تلمسان .والبشرى شرح المرقاة الكبرى.ص104 .عبد القادر الكسنمي. مطبعة المنار تونس .وتاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين.ص 15 وما بعدها . تحقيق محمد خير رمضان يوسف ..دار ابن حزم بيروت سنة 1415هـ 1994م. وتاريخ الجزائر العام .عبد الرحمان شيبان .ج3. ص 71 وما بعدها .ط6/ بيروت 1403هـ/1983م.

دار الثقافة بيروت لبنان، وتاريخ أفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين ..أ. د يحي بوعزيز . دار هومة .الجزائر .2001.و الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ . في عهد المماليك الإسلامية غانا ، مالي ،سنغاي ، التي قامت في غرب إفريقيا بين القرن 4هـ و11م .ص107 أ.د.أبو بكر إسماعيل ميقا.مكتبة دار التوبة .ط1.1417هـ 1997م .و المجلة الجزائرية للمخطوطات .العدد الأول ربيع الثاني 1424هـ جوان 2003م في محاضرة بعنوان: (محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال بعض آثاره المخطوطة).ص 34 للأستاذ أحمد الحمدي .ومجلة رسالة المسجد ، مجلة محكمة تصدر عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف – الجزائر . السنة الثالثة، العدد الثاني صفر 1426/ مارس /أفريل 2005. موضوع (أضواء على حياة الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي أشهر تلامذة سيدي عبد الرحمان الثعالبي) . للأستاذ الحسين يختار. و مصباح الأرواح في أصول الفلاح للإمام المغيلي.ص09 . تحقيق أ .رابح بونار .الشركة الجزائرية للنشر .1968. الجزائر .و معجم مشاهير المغاربة .ص505.أبو عمران الشيخ وآخرون .جامعة الجزائر 1995م. والمعيار المعرب أحمد بن يحي الونشريسي.ص 219 /دار الغرب الإسلامي .المملكة المغربية .و نيل الابتهاج بتطريز الديباج .ص 151. للشيخ سيدي أحمد بن بابا التنبكتي . دار الكتب العلمية بيروت .

13/ ينظر تقييد مخطوط حول نسب الشيخ سيدي عبد الله العصنوني .خزانة قصر باعبد الله أدرار.

15 / ينظر مخطوط القصيدة عند أحفاده بزاوية الشيخ المغيلي . وقد طبعت القصيدة مرات عديدة .

16 ينظر : القاضي عياض الأديب . عبد السلام شقور .ص 221 ط 01 1983م .دار الفكر المغربي .المغرب

17 البشرى شرح المرقاة الكبرى عبد القادر الكسنمي. (ص104)

18 ينظر :فهرس مخطوطات دار الوثائق القومية النيجيرية بكادونا .إعداد بابا يونس محمد .حققه وأتم حواشيه جون هنويك .مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي .لندن 1418هـ/ 1997م. ، وفهرس مخطوطات شنقيط ووادان . إعداد أحمد ولد محمد يحي . تحقيق أولرخ يربستول . مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي .لندن .1417هـ/ 1997م . وفهرس مخطوطات مركز أحمد بابا للتوثيق والبحوث التاريخية بتنبكتو .إعداد مجموعة من المكتبيين بالمركز .تحرير عبد المحسن العباس . مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي .لندن .1418هـ/1997م. وفهرس مخطوطات مكتبات غانا .إعداد بابا يونس محمد .تحرير علي عبد المحسن زكي . مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي .لندن .1421هـ/2000م. وفهرس مخطوطات مكتبة جامعة أبادان نيجريا. إعداد بابا يونس محمد. .حققه وأتم حواشيه جون هنويك. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي .لندن .1421هـ/ 2001م . وفهرس مخطوطات مكتبة مَمَّا حيدرة للمخطوطات والوثائق .إعداد عبد القادر ممّا حيدرة .تحرير د أيمن فؤاد سيد . مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي .لندن .1421هـ/ 2000م .

19ينظر : الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي من 400هـ إلى 1100هـ . في عهد المماليك الإسلامية غانا ، مالي ،سنغاي ، التي قامت في غرب إفريقيا بين القرن 4هـ و11م أ.د.أبو بكر إسماعيل ميقا.مكتبة دار التوبة .ط1.1417هـ 1997م . ورسالة في اليهود .الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي ص 55. تقديم وتحقيق .عبد الرحيم بنحادة و عمر بنميرة. ط1/ 2005. دار أبي رقراق للطباعة والنشر .الرباط المغرب .

20/ ديوان طرفة بن العبد .ص 44. دار بيروت للطباعة والنشر بيروت .1982/1402م.

21/ ينظر : الإمام المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية .مبروك مقدم .ص 92.ط1

22/ توجد نسخة منه مخطوطة بمكتبة دار الكتب والوثائق القومية .القاهرة .رقم الحفظ: تصوف عربي / 920 .رقم الميكروفيلم 37425/ . وهناك نسخ أخرى في عديدة بعض خزانات توات الجزائر. وقد قام بتحقيقه وتقديمه تحت عنوان (رسالة في اليهود) عبد الرحيم بنحادة و عمر بنميرة. ط1/2005. دار أبي رقراق الرباط المغرب

23/ ينظر: مخطوط القصيدة خزانة باعبد الله أدرار . وكتاب أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة. د يحي بوعزيز .ج2 ص 153. ط1/ 1995م دار الغرب الإسلامي .نيل الابتهاج بتطريز الديباج للشيخ سيدي أحمد بن بابا التنبكتي . الجزء الثاني /حرف الميم . ص 151 وما بعدها . دار الكتب العلمية بيروت لبنان . ومصباح الأرواح في أصول الفلاح. محمد بن عبد الكريم المغيلي.ص 11 وما بعدها .تحقيق رابح بونار .اكتوبر 1968.الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر.

24/ مخطوط القصيدة فيه حذف لفصول عدة ،وهو غير كامل آخره فصل في فتنة أهل القبر . خزانة باعبد الله أدرار .

25ينظر ترجمته في : مخطوط ترجمة وجيزة لبعض علماء إقليم توات ص.07. و مخطوط درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام .ص 06 .ومخطوط الدرة البهية في الشجرة البكرية .ص 31. ومقدمة سيدي البكري بن سيدي عبد الكريم بن سيدي محمد على مخطوط شرح التلمسانية في الميراث لعلي بن يحي بن صالح . وكتاب النبذة في تاريخ توات وأعلامها . ص76. وما بعدها .